ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلثمائة

ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية

في هذه السنة، في المحرّم، ملك الروم مدينة أنطاكية، وسبب ذلك: أنهم حصروا حصناً بالقرب من أنطاكية، يقال له: حصن لوقا، وأنهم وافقوا أهله - وهم: نصارى - على أن يرتحلوا منه إلى أنطاكية، ويظهروا أنهم إنما انتقلوا/ منه خوفاً من الروم، فإذا صاروا بأنطاكية، أعانوهم على فتحها، وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك، وانتقل أهل الحصن، ونزلوا بأنطاكية بالقرب من الجبل الذي بها. ج٧/٣٦/ط

فلما كان بعد انتقالهم بشهرين، وافى الروم مع أخي تقفور الملك، وكانوا نحو أربعين ألف رجل، فأحاطوا بسور أنطاكية، وصعدوا الجبل إلى الناحية التي بها أهل حصن لوقا، فلما رآهم أهل البلد قد ملكوا تلك الناحية، طرحوا أنفسهم من السور، وملك الروم البلد، ووضعوا في أهله السيف، ثم أخرجوا المشايخ، والعجائز، والأطفال من البلد، وقالوا لهم: اذهبوا حيث شئتم. فأخذوا الشباب من الرجال، والنساء، والصبيان، والصبايا، فحملوهم إلى بلاد الروم سبياً، وكانوا يزيدون على عشرين ألف إنسان، وكان حصرهم له في ذي الحجة[1].

ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها

لما ملك الروم أنطاكية، أنفذوا جيشاً كثيفاً إلى حلب، وكان أبو المعالي شريف بن سيف الدولة محاصراً لها، وبها قَرعويه السيفي متغلّباً عليها، فلما سمع أبو المعالي خبرهم، فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم، وحصروا البلد وفيه قرعويه، وأهل البلد قد

---

(١) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤٥)، وذكره أيضاً في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٦٧، ١٦٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٠)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٥) مختصراً، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٠) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٠١).

تحصنوا بالقلعة، فملك الروم المدينة وحصروا القلعة، فخرج إليهم جماعة من أهل حلب، وتوسطوا بينهم وبين قرعويه.

وترددت الرسل، فاستقر الأمر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه إليهم، وأن يكون الروم إذا أرادوا الغزاة، لا يُمكن قرعويه أهل القرايا من الجلاء عنها، ليبتاع الروم ما يحتاجون إليه منها، وكان مع حلب حماة، وحمص، وكفرطاب، والمعرة، وأفامية، وشيزر، وما بين ذلك من الحصون والقرايا، وسلّموا الرهائن إلى الروم، وعادوا عن حلب، وتسلّمها المسلمون[١].

ذكر ملك الروم ملازكرد

وفيها أرسل ملك الروم جيشاً إلى ملازكرد من أعمال أرمينية، فحصروها وضيّقوا على من بها من المسلمين، وملكوها عنوة وقهراً، وعظمت شوكتهم، وخافهم المسلمون في أقطار البلاد، وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم، يقصدون أيها شاؤوا[٢].

ذكر مسير ابن العميد إلى حسنويه

وفي هذه السنة، جهّز ركن الدولة وزيره أبا الفضل بن العميد في جيش كثيف، وسيّرهم إلى بلد حسنويه، وكان سبب ذلك: أنَّ حسنويه بن الحسين الكردي كان قد قوي واستفحل أمره، لاشتغال ركن الدولة بما هو أهم منه؛ ولأنه كان يعيّن الديلم على جيوش خراسان إذا قصدتهم، فكان ركن الدولة يراعيه لذلك، ويغضي على ما يبدو منه، وكان يتعرّض إلى القوافل وغيرها بخفارة، فبلغ ذلك ركن الدولة، فسكت عنه.

فلما كان الآن، وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف، أدى إلى أن قصده سهلان وحاربه، وهزمه حسنويه، فانحاز هو وأصحابه إلى مكان اجتمعوا فيه، فقصدهم حسنويه وحصرهم فيه.

---

(١) ذكره الذهبي في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٢)، وذكره أيضاً في «تاريخ الإسلام» (٤٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢١)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٩٧، ١٩٨)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٠، ١١١)، وذكره ابن العديم في «زبدة الحلب» (١/ ١٦١ ـ ١٦٨).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٢٠)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٩٨)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٥) مختصراً، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١١) مختصراً.

ثم إنه جمع من الشوك والنبات وغيره شيئاً كثيراً، وفرّقه في نواحي أصحاب سهلان، وألقى فيه النار ـ وكان الزمان صيفاً ـ فاشتد عليهم الأمر حتى كادوا يهلكون، فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان، فأمنهم فأخذهم عن آخرهم. وبلغ ذلك ركن الدولة، فلم يحتمله له، فحينئذٍ أمر ابن العميد بالمسير إليه، فتجهّز وسار في المحرم ومعه ولده أبو الفتح، وكان شاباً مرحاً، قد أبطره الشباب والأمر والنهي، وكان يظهر منه ما يغضب بسببه والده، وازدادت علّته، وكان به نقرس وغيره من الأمراض.

ج٧/ ٣٧/ط فلما وصل إلى همذان/ توفي بها، وقام ولده مقامه، فصالح حسنويه على مال أخذه منه، وعاد إلى الري إلى خدمة ركن الدولة، وكان والده يقول عند موته: ما قتلني إلا ولدي، وما أخاف على بيت العميد أن يخرب ويهلكوا إلا منه، فكان على ما ظن.

وكان أبو الفضل بن العميد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من: حسن التدبير، وسياسة الملك، والكتابة التي أتى فيها بكل بديع.

وكان عالماً في عدة فنون منها: الأدب، فإنه كان من العلماء به، ومنها حفظ أشعار العرب، فإنه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله، ومنها علوم الأوائل، فإنه كان ماهراً فيها مع سلامة اعتقاد، إلى غير ذلك من الفضائل، ومع حسن خلق، ولين عشرة مع أصحابه وجلسائه، وشجاعة تامة، ومعرفة بأمور الحرب والمحاصرات، وبه تخرّج عضد الدولة، ومنه تعلّم سياسة الملك، ومحبة العلم والعلماء، وكان عمر ابن العميد قد زاد على ستين سنة يسيراً، وكانت وزارته أربعاً وعشرين سنة[1].

ذكر قتل تقفور ملك الروم

في هذه السنة، قتل تقفور ملك الروم، ولم يكن من أهل بيت المملكة وإنما كان دمستقاً، والدمستق عندهم: الذي كان يلي بلاد الروم التي هي شرقي خليج القسطنطينية، وأكثرها اليوم بيد أولاد قلج أرسلان، وكان كل من يليها يلقّب: بالدمستق، وكان هذا تقفور شديداً على المسلمين، وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة، فعظم شأنه عند الروم، وهو أيضاً الذي فتح طرسوس، والمصيصة، وأذنة، وعين زربى وغيرها، ولم يكن نصراني الأصل، وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس ـ يعرف: بابن الفقّاس ـ

(١) ذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٨٠)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (وفيات سنة: ٣٥٩ هـ) (١٩٦)، وذكره الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٣/ ١٥٨)، وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٥/ ١٠٣ ـ ١١٠).

تنصّر وكان ابنه هذا شهماً شجاعاً، حسن التدبير لما يتولاّه، فلما عظم أمره وقوي شأنه، قتل الملك الذي كان قبله وملك الروم بعده، وقد ذكرنا هذا جميعه.

فلما ملك تزوج امرأة الملك المقتول على كره منها، وكان لها من الملك المقتول ابنان، وجعل تقفور همته قصد بلاد الإسلام والاستيلاء عليها، وتمّ له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض، فدوّخ البلاد، وكان قد بني أمره على أن يقصد سواد البلاد، فينهبه ويخرّبه، فيضعّف البلاد فيملكها، وغلب على الثغور الجزرية والشامية، وسبا وأسر ما يخرج عن الحصر، وهابه المسلمون هيبة عظيمة، ولم يشكوا في أنه يملك جميع الشام، ومصر، والجزيرة، وديار بكر لخلو الجميع من مانع.

فلما استفحل أمره، أتاه أمر الله من حيث لم يحتسب، وذلك أنه عزم على أن يخصي ابني الملك المقتول، لينقطع نسلهما، ولا يعارض أحد أولاده في الملك، فلما علمت أمهما ذلك، قلقت منه واحتالت على قتله، فأرسلت إلى ابن الشمشقيق ـ وهو: الدمستق حينئذٍ ـ ووافقته على أن يصير إليها في زي النساء ومعه جماعة وقالت لزوجها: إنَّ نسوة من أهلها قد زاروها، فلما صار إليها هو ومن معه، جعلتهم في بيعة تتصل بدار الملك: وكان ابن الشمشقيق شديد الخوف منه لعظم هيبته، فاستجاب للمرأة إلى ما دعته إليه.

فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة، نام تقفور واستثقل في نومه، ففتحت امرأته الباب ودخلوا إليه فقتلوه، وثار بهم جماعة من أهله وخاصّته، فقتل منهم نيف وسبعون رجلاً، وأجلس في الملك الأكبر من ولدي الملك المقتول، وصار المدبّر له: ابن الشمشقيق، ويقال: إنَّ تقفور ما بات قط إلا بسلاح، إلا تلك الليلة لما يريده الله تعالى من قتله وفناء أجله[1]/. ج٧ ٣٨/ط

ذكر ملك أبي تغلب مدينة حرّان

في هذه السنة في الثاني والعشرين من جُمادى الأولى، سار أبو تغلب بن ناصر

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١١)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤٥)، وذكره أيضاً في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٩٨، ١٩٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٠١).

الدولة بن حمدان إلى حرّان، فرأى أهلها قد أغلقوا أبوابها وامتنعوا منه، فنازلهم وحصرهم، فرعى أصحابه زروع تلك الأعمال، وكان الغلاء في العسكر كثيراً، فبقي كذلك إلى ثالث عشر جُمادى الآخرة، فخرج إليه نفران من أعيان أهلها ليلاً، وصالحاه وأخذا الأمان لأهل البلد وعادا، فلما أصبحا، أعلما أهل حرّان ما فعلاه، فاضطربوا وحملوا السلاح، وأرادوا قتلهما، فسكنهم بعض أهلها فسكنوا.

واتفقوا على إتمام الصلح، وخرجوا جميعهم إلى أبي تغلب، وفتحوا أبواب البلد، ودخله أبو تغلب وإخوته وجماعة من أصحابه، وصلوا به الجمعة، وخرجوا إلى معسكرهم، واستعمل عليهم: سلامة البرقعيدي؛ لأنه طلبه أهله لحسن سيرته، وكان إليه أيضاً عمل الرقة ـ وهو: من أكابر أصحاب بني حمدان ـ وعاد أبو تغلب إلى الموصل ومعه جماعة من أحداث حرّان، وسبب سرعة عوده: أنّ بني نمير عاثوا في بلد الموصل، وقتلوا العامل ببرقعيد، فعاد إليهم ليكفهم[1].

ذكر قتل سليمان بن أبي علي بن إلياس

في هذه السنة قتل سليمان بن أبي علي بن إلياس، الذي كان والده صاحب كرمان، وسبب ذلك: أنه ذكر للأمير منصور بن نوح صاحب خراسان: أنّ أهل كرمان من القفص والبلوص معه، وفي طاعته وأطمعه في كرمان، فسيّر معه عسكراً إليها، فلما وصل إليها، وافقه القفص والبلوص وغيرهما من الأمم المفارقة لطاعة عضد الدولة، فاستفحل أمره وعظم جمعه، فلقيه كوركير بن جستان خليفة عضد الدولة بكرمان وحاربه، فقتل سليمان وابنا أخيه اليسع، وهما: بكر والحسين، وعدد كثير من القوّاد والخراسانية، وحملت رؤوسهم إلى عضد الدولة بشيراز، فسيّرهما إلى أبيه ركن الدولة، فأخذ منهم جماعة كثيرة أسرى.

ذكر الفتنة بصقلية

وفي هذه السنة استعمل المعز لدين الله الخليفة العلوي على جزيرة صقلية يعيش مولى الحسن بن علي بن أبي الحسين، فجمع القبائل في دار الصناعة، فوقع الشر بين

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢١)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٦)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١١).

موالي كتامة والقبائل، فاقتتلوا فقتل من موالي كتامة كثير، وقتل من الموالي بناحية سرقوسة جماعة، وازداد الشر بينهم وتمكنت العداوة، وسعى يعيش في الصلح فلم يوافقوه، وتطاول أهل الشر من كل ناحية، ونهبوا وأفسدوا، واستطالوا على أهل المراعي، واستطالوا على أهل القلاع المستأمنة، فبلغ الخبر إلى المعز، فعزل يعيش، واستعمل أبا القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، نيابة عن أخيه أحمد، فسار إليها، فلما وصل فرح به الناس، وزال الشر من بينهم، واتفقوا على طاعته[١].

ذكر حصر عمران بن شاهين

في هذه السنة في شوال، انحدر بختيار إلى البطيحة لمحاصرة عمران بن شاهين، فأقام بواسط يتصيد شهراً، ثم أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر إلى الجامدة وطفوف البطيحة، وبنى أمره على أن يسد أفواه الأنهار ومجاري المياه إلى البطيحة، ويردها إلى دجلة، والفاروث، وربع طير، فبنى المسنيات التي يمكن السلوك عليها إلى العراق، فطالت الأيام وزادت دجلة، فخربت ما عملوه.

وانتقل عمران إلى معقل آخر من معاقل البطيحة، ونقل كل ماله إليه، فلما نقصت المياه واستقامت الطرق، وجدوا مكان عمران بن شاهين فارغاً، فطالت الأيام وضجر الناس من المقام، وكرهوا/ تلك الأرض من الحر، والبق، والضفادع، وانقطاع المواد التي ألفوها، وشغب الجند على الوزير وشتموه، وأبوا أن يقيموا، فاضطر بختيار إلى مصالحة عمران على مال يأخذه منه، وكان عمران قد خافه في الأول، وبذل له خمسة آلاف ألف درهم، فلما رأى اضطراب أمر بختيار، بذل ألفي ألف درهم في نجوم، ولم يسلّم إليهم رهائن، ولا حلف لهم على تأدية المال، ولما رحل العسكر، تخطف عمران أطراف الناس، فغنم منهم، وفسد عسكر بختيار، وزالت عنهم الطاعة والهيبة، ووصل بختيار إلى بغداد في رجب، سنة إحدى وستين وثلثمائة[٢].

ج٧/٣٩/ط

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الآخر، اصطلح قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان وأبو

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٩٧)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٤/ ٣٧٤).
(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٢)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢٩٥).

المعالي ابن سيف الدولة، وخطب لأبي المعالي بحلب وكان بحمص، وخطب هو وقرعويه في أعمالهما للمعز لدين الله العلوي، صاحب المغرب ومصر.

وفيها في رمضان وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء، فاحترق جماعة رجال ونساء، وأما الرحال وغيرها فكثير. ووقع الحريق أيضاً في أربع مواضع من الجانب الغربي فيها أيضاً.

وفيها كانت الخطبة بمكة للمطيع لله وللقرامطة الهجريين، وخطب بالمدينة للمعز لدين الله العلوي، وخطب أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي خارج المدينة للمطيع لله[١].

الوفيات

وفيها مات عبيد بن عمر بن أحمد أبو القاسم العبسي المقري الشافعي بقرطبة، وله تصانيف كثيرة، وكان مولده ببغداد سنة خمس وتسعين ومائتين[٢].

وأبو بكر محمد بن داود الدينوي الصوفي، المعروف: بالرقي، وهو من مشاهير مشايخهم، وقيل: مات سنة اثنتين وستين[٣].

وفيها توفي القاضي أبو العلاء محارب بن محمد بن محارب الفقيه الشافعي، في جمادى الآخرة، وكان عالماً بالفقه والكلام/[٤]. ج٧/٤٠/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٢٠)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٦)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٢).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (وفيات سنة: ٣٥٩ هـ) (٢١٠)، «تاريخ علماء الأندلس» (١/ ٢٥٣).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٥)، «تاريخ الإسلام» (٢١٧، ٢١٨)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٨، ١٣٩)، «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٨٦)، «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٦٦)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١١).

(٤) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٢)، «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٧٦)، «المنتظم» (١٤/ ٢٠٤).